

هل تؤدي هذه الحرب إلى دفع الإسرائيليين نحو التطرف أكثر فأكثر؟



ترجمة وتحرير: نون بوست

قبل نقل نعش غال نافون، صرخ اثنان من أفراد أسرته من الألم وكادوا أن يغمي عليهم. استخدم ابن عمه أبشع الصفات في اللغة العبرية لوصفه، لكنه أضاف قائلاً: "كل الكلمات لا يمكن إلا أن تنتقص من حقيقة هويتك الحقيقية". ومن خلال تنهدات المشيعين، كان من الممكن سماع صوت تنبيه الناس عبر الهاتف واحداً تلو الآخر بشأن الصواريخ القادمة. وتبع ذلك صوت انفجارات بعيدة.

وقتل نافون، البالغ من العمر 30 سنة، يوم السبت أثناء حفل في جنوب إسرائيل، مع 260 آخرين، خلال هجوم نفذته حركة حماس الفلسطينية. وقد أسفر الهجوم بحياة 1300 شخص في إسرائيل حتى كتابة هذه الكلمات، لكن العدد النهائي سيكون أعلى، حيث تم اكتشاف جثث متفحمة ومذبوحة في المجتمعات في الجنوب وانكشف النطاق الكامل للمذبحة. فقد جرح أكثر من ثلاثة آلاف إسرائيلي، واحتجزت حماس ما يقدر بنحو 150 رهينة مدنية.

في مواجهة أسوأ هجوم في تاريخ البلاد - وصفه الرئيس الأمريكي جو بايدن بأنه الهجوم الأكثر دموية على اليهود منذ الحرب العالمية الثانية - يحتشد الإسرائيليون، كما يفعلون دائماً في الأزمات، فقد أعلن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، يوم السبت الماضي، حرباً واسعة النطاق، وبحلول يوم الأربعاء كان قد أنشأ حكومة طوارئ وطنية، ضمت حزباً معارضاً رئيسياً، بقيادة رئيس أركان الجيش السابق بيني غانتس، للمساعدة في إدارة جهود الحرب، وقد تتبعها أحزاب أخرى.

في صفوف الشعب الإسرائيلي، انخفضت أصوات المعارضة. لكن في جميع أنحاء البلاد، نظم الناس أعمال تطوعية للحصول على تبرعات من الملابس والألعاب والبطانيات والمواد الغذائية وأدوات النظافة للأشخاص الذين طردوا من منازلهم في الجنوب، أو لجنود الاحتياط في الجيش الذين تم استدعاؤهم على عجل ولم يتم تزويدهم بالقدر الكافي بالعتاد. تولت مراكز التسوق والمنازل القيام بهذه

المهمة؛ وكان هناك سائقون متطوعون ينتظرون على قارعة الطريق لنقل الصناديق جنوباً أو شمالاً - جبهات الحرب الحالية والمحتملة.

إن جراح إسرائيل الجديدة لن تشفى أبداً. ومن السابق لأوانه معرفة كل التداعيات السياسية. ولكن بناء على التجربة، فإن وحدة الأزمة ليست سوى فترة استراحة عن الانقسامات العميقة التي كانت تمزق المجتمع الإسرائيلي.

يوم الأربعاء، خرجت مجموعة من المتظاهرين أمام مجمع الدفاع في تل أبيب حاملين الأعلام الإسرائيلية للمطالبة بسقوط الحكومة. لم يكن ذلك شيئاً مقارنة بالاحتجاجات الحاشدة المؤيدة للديمقراطية الأخيرة في إسرائيل، لكن لا يزال عدد قليل من الإسرائيليين المؤيدين لنتنياهو يتوقفون لمهاجمتها. وعلى الرغم من الأرقام الضئيلة، فإن التفاعل كان يرمز إلى الانهيار المؤيد أو المناهض لنتنياهو الذي تسبب في الشلل السياسي في إسرائيل لأربع دورات انتخابية متتالية - إلى أن أسفرت الجولة الخامسة من الاستطلاع أخيراً عن حكومة متعصبة وثيوقراطية وسلطوية يقودها نتنياهو. على الرغم من توجيه ثلاث اتهامات فساد.

وفي أحد السيناريوهات، يظل هذا الانقسام نفسه ساري المفعول، حيث يكون كل جانب أكثر غضبا من الجانب الآخر. فالمعسكر المؤيد لنتنياهو يصر بالفعل على أن اليمين المتطرف يجب أن يكون أكثر تطرفاً، في حين يرى المعسكر المناهض لنتنياهو أنه من غير المتصور أن يبقى نتنياهو في السلطة بعد الكارثة التي حدثت أثناء ولايته. وتساءلت براخا شاليط (79 عاماً) لدى مغادرتها المظاهرة مع زوجها دودو، "ماذا يجب أن يحدث لإثبات أن هذا الرجل غير قادر على المسك بزمام السلطة". وأضافت قائلة "كم يجب أن نعاني؟".

ولكن من الصعب أن نتصور بقاء أي شيء على حاله، وهناك سيناريو آخر محتمل بالقدر ذاته: وهو أن تتجه الأيديولوجية السياسية الإسرائيلية إلى أقصى اليمين.

وحدة الأزمة ليست سوى فترة استراحة عن الانقسامات العميقة التي كانت تمزق المجتمع الإسرائيلي.

في جميع أنحاء تل أبيب، هناك كتابات مشؤومة تقول: "امسحوا غزة"؛ قام شخص ما برمي هذه الصورة على شارع السكني الصغير، وهي من الدوائر الانتخابية الموثوقة اليسارية الوسطية، على بُعد بضعة منازل فقط. في غضون ساعات من الهجوم، شنت إسرائيل حرباً جوية واسعة النطاق ضد غزة، مما تسبب في مقتل 1500 شخص بحلول يوم الخميس، وقطع الكهرباء في منطقة يعيش فيها مليوني مدني تحت حصار شديد منذ سنة 2007، وقتل ما يصل إلى 500 طفل. وأدى الهجوم إلى نزوح أكثر من 400 ألف شخص بسبب القصف. بحلول يوم الأربعاء، نفذ الوجود من محطة توليد الكهرباء الرئيسية في غزة مما جعلها تتوقف عن العمل، في حين أمرت إسرائيل يوم الجمعة بشكل مشؤوم بالإخلاء الكامل للفلسطينيين من الجزء الشمالي من قطاع غزة، استعداداً على ما يبدو لحرب برية. وسرعان ما ستعني فكرة كونك يمينياً في إسرائيل أن تكون متطرفاً ووحشياً وقاسياً وانتقامياً.

من الصعب أن نتصور أن إسرائيل أصبحت أكثر ميلاً للتشدد والتطرف مما هي عليه في الوقت الراهن

ويقدم الماضي دروساً قوية فيما يتعلق بالتفكير الإسرائيلي بعد الهجمات الكبرى؛ حيث أدت الانتفاضة الفلسطينية التي شنت في أيلول / سبتمبر 2000، والمعروفة باسم الانتفاضة الثانية، إلى ارتفاع نسبة اليهود الإسرائيليين الذين عرفوا أنفسهم بأنهم يمينيون.

وفقاً لأبحاثي الاستقصائية على مر السنين؛ وقد تسارعت هذه العملية مع انسحاب إسرائيل الأحادي من غزة، والذي أعقبه استيلاء حماس على السلطة في سنة 2007. وتسارعت هذه العملية في أعقاب عودة نتنياهو إلى السلطة في سنة 2009، وارتبطت بدورة مظلمة من التصعيد العنيف مع حماس في غزة

كل بضعة سنوات حتى هذه الحرب الحالية.

من الصعب أن نتصور أن إسرائيل أصبحت أكثر ميلاً للتشدد والتطرف مما هي عليه في الوقت الراهن. وتمتلك حكومة نتياهو 64 مقعداً من أصل 120 مقعداً في البرلمان، مع وجود السياسيين الأكثر تطرفاً في تاريخها، وتمتد الأيديولوجية اليمينية من الناحية الإسرائيلية إلى أكثر من 70 عضواً في البرلمان، بين المتشددين، والقوميين، والعسكريين، وربما دعاة ضم المزيد من الأراضي الفلسطينية، ولكن من المرجح أن يندفع الوسطيون اليوم نحو اليمين في أعقاب الهجوم الذي نفذته حماس.

لم يكن هناك الكثير من اليساريين في البداية. لكن ما هو موجود بدأ يتآكل بالفعل في أعقاب عملية حماس ليوم السبت. فمن غير المقبول في نظر بعض اليساريين أن يستشهد آخرون بالاحتلال الإسرائيلي والحصار المفروض على غزة، رغم وحشيته، لتفسير تصرفات حماس والتلميح إلى المبررات (التي لا يمكن أن يكون لها أي مبرر). والبعض غير قادر على سماع الدمار المروع في غزة في هذه اللحظة، والذي يبدو غير متوافق عاطفياً مع الجحيم الذي يعيشه الإسرائيليون الآن. وحتى اليساريين المتشددون الذين أعرفهم يقاومون مشاعر الغضب والانتقام، ومن المؤكد أن بعضهم سينزلق نحو اليمين.

ذمّر إرث نتياهو إلى الأبد، ولكن لا يهم؛ ربما تكون حماس قد دفعت الإسرائيليين إلى مكان أكثر قتامة بكثير مما حلم به نتياهو نفسه.

المصدر: الغارديان